الحلقة (٩)

تعريف منهج البحث:

المنهج في اللغة: هو الطريق البين، قال تعالى: {لِكُلٍ جَعَلْنَا مِنْكُم شِرْعَةً ومِنْهَاجاً}.

المنهج في الاصطلاح: هو الطريق المؤدي للكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة القواعد العامة التي تضبط سير العقل حتى يصل إلى نتائج معلومة.

وسمي العلم الباحث لهذه الطريقة أو موضوعه هذه الطرق بمناهج البحث، لأنه لم يكن منهجا واحدا، وإنما عدة مناهج، لأن لكل علم ما يلائمه، هناك عناصر مشتركة يستخدمها جميع الباحثون، ولكن هناك مناهج متنوعة ومتعددة تتناسب مع التخصصات، فالباحث في العلوم الإسلامية يطبق مناهج تتناسب مع العلوم المعيارية، والباحث في العلوم الإنسانية يطبق مناهج تتناسب معها، لأنها دراسة لواقع إنساني وليس لشيء معياري، شيئا واقعيا سواء كان معاشا أو كان ماضيا كدراسة التاريخ، وهناك علوم تستخدم مناهج تتناسب معها مثل المنهج التجريبي، وبعض العلوم تستعمل المنهج الرياضي، وهذا هو التعريف العام للمناهج، والمادة أو المقرر الذي موضوعه هذا الفن يسمى مناهج البحث، لأنه يدرس هذه الطرق ويبينها للباحثين كي تأتي أبحاثهم وفق الطرق العلمية، وتكون نتائجها محصنة بإذن الله قدر الإمكان من الوقوع في الهوى أو الخطأ أو في الضلال.

مهمة المنهج: هو إيضاح الطريق والسبيل، أو هو الطريق الذي ينبغي أن يسلك للوصول إلى الحقيقة أو النتيجة.

كيف نعرف الباحث؟ سنعرف الباحث بصفاته، فينبغي عليه أن يتصف بصفات معينة حتى يصدق عليه وصف باحث، هذه الصفات بعضها صفات أخلاقية، وبعضها مهارية يمكن أن يكتسبها الإنسان.

فمن هذه الأخلاق الأساسية:

الشرط الأول: **الإخلاص**، أن يكون في بحثه مخلصا صادق النية في الوصول إلى الحقيقة العلمية، ومن الأخطاء التي يقع فيها بعض الباحثين أنه تكون نتيجة بحثه موجودة في رأسه قبل أن يبحث، ويكون البحث بمثابة جمع أدلة لإثبات هذه القضية التي في رأسه، وهذا مخالف لقواعد البحث، فالبحث يقتضي أن هذه القضية التي لدى الباحث هي بمثابة فرض قابل للإثبات والنفي، ويطرحها على أنها إشكال أو سؤال يحتاج إلى إجابة، ويكون مخلصا في الوصول إلى الإجابة الصحيحة التي تقتضيها الأدلة، سواء وافقت هواه أو لم توافق مراده، فهذا هو المراد بالإخلاص عند الباحث، أن يكون عند ابتدائه للبحث قد جعل موضوع البحث بمثابة سؤال قابل للإثبات أو قابل للنفي ومحل تساؤل، فإن كان الباحث دخل البحث وهو يريد أن يثبت ما في رأسه فهذا لا يعتبر بحثا علميا، وإنما

يعتبر إديولوجيا، وإنما أراد أن يفرض على الحقيقة العلمية ما يراه هو مسبقا، وقد حكم له قبل أن يبحث في أدلته، وكان دوره هو البحث عن ما يثبت هذا الموضوع، وبالتالي سيكون متجاهلا ومتغافلا لكل دليل يمكن أن يناقض رأيه أو يمكن أن يقدح في رأيه، فسيكون انتقائيا في البحث، ينتقي ما يلائمه ويعترض عما لا يريده، وهذا من أسوأ أنواع البحوث، لأن فيه خيانة للحقيقة العلمية، إذاً لابد بادئ ذي بدء أن لا يدخل على البحث بحكم، إنما يكون داخلا على أساس التساؤل والفرض، ومخلصا في الوصول للحقيقة العلمية، وهو أول شرط من الشروط **وهو شرط نفسي**.

الشرط الثاني: **أن يكون له الرغبة في هذا البحث وميول له وحب له،** لأنه إن لم يكن محبا لبحثه فلن يستطيع أن يبحثه بحثا جيدا، يتصور نفسه الإنسان أنه مجبر على الجلوس مع من يكره، فسيكون البحث عليه ثقيلا، ولن يسير فيه كما ينبغي، بعكس من جاء راغبا ومحبا وشغوفا سيقضي معه ساعات، وسيعيش معه معاناة محب لمحبوبه، وبالتالي سيخرج بالنتائج القوية والمرتجية بإذن الله، **وهذا شرط نفسي**، ولهذا يجب أن يحذر الباحثون من الاستسلام لأخذ أي بحث لمجرد البحث، لكي ينهي دون أن يكون له رغبة فيه أو إقبالا عليه، فذلك سيؤدي به إلى أضرار أكبر مما يتوقع من فوات الوقت أونحوه.

الشرط الثالث: **الصبر**، فالبحث ولو كان محبوبا سيحتاج إلى معاناة، لأنه يتطلب تحليلا واستقصاءا ونظرا وتحريرا، فلذلك قد يلجأ صاحبه للسفر حسب البحث، وقد يحتاج إلى بذل بعض ماله، وبذل وقته في أول شيء، فهذه الأمور يحتاج إليها الباحث فيجب أن يهيأ نفسه لها، فما لم يكن صبورا فلن يصل إلى نتيجة جيدة، وسيضطر إلى الإنجاز بأي صورة كانت، والاستعجال أسوأ الأمور وقعا على البحث، لأن من صفات البحث الجيد أن يكون فيه استقصاء وتحليل ونظر وترجيح وشمول في مسح المراجع ومناقشة المادة العلمية، وهذه تتطلب صبرا كبيرا، والصابر له أجره بغير حساب، فالصبر أساس في كل عمل سواء دنيويا أو أخرويا، فمن لم يتحلى بالصبر لم يستطع أن يصل إلى هدفه ومبتغاه، أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته***ومدمن القرع للأبواب أن يلجا.

الشرط الرابع: **القدرة على التحقيق** وهذه ترجع إلى المهارات (تؤجل).

الشرط الخامس: **الأمانة العلمية،** فبعضهم لا يهتم بتوثيق بحوثه، بل ظهرت في هذه الفترة أخذ البحوث كاملة من باحثين سابقين ووضع الاسم عليها، وهذا من أسوأ ما ظهر في هذا العصر وهو سرقة البحوث العلمية، ومنها اللجوء للآخرين لكتابة البحوث وهذه صفة منافية للأمانة العلمية.

الشرط السادس: **التواضع،** فبعض الباحثين لديه نوع من الاستكبار، هو قد لا يكون من الباحثين الكبار بل باحث صغير ومع هذا تجده يتكلم عن نفسه بنون الجمع، فيقول في بحثنا هذا لجأنا إلى كذا وعملنا كذا، بمعنى يضخم نفسه وذاته بشكل كبير منافي للتواضع، ولابد أن يقول فيما يبدو لي، أو

على ما أذكر.....إلخ الألفاظ التي توحي بالتواضع وليس بالتكبر لأن من صفات المسلم التواضع بصفة عامة، والمتكبر مذموم عند الله ولا ينظر إليهم (**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر**).

الشاهد: أن التواضع سمة المسلم بشكل عام، وهو أساس في البحوث العلمية ويكون الإنسان على مستوى عال من التواضع والأدب، فالعلم بحر لا ساحل له، فلا يمكن للإنسان أن يقول أنه أحاط بالعلم وأحصى مسائله وأنه وصل إلى ما لم يصل إليه أحد قبله، فقد يكون هناك من سبب ولكنه لم يعرف، والأصل أن سمة الإنسان التواضع والأدب، سواء مع المخلوق أو مع الخالق.

الشرط السابع: **الجرأة** وليس المقصود بالجرأة المذمومة التي يتقدم فيها بين يدي الله ورسوله، أو بين يدي ما قرره العلماء بتدقيق وتحقيق دون أن يكون عنده ما ينقضه، والمقصود بالجرأة: أنه إذا توصل إلى الحق أو إلى ما يبدو له أنه الحق في المسألة لا يكتم ما توصل إليه، وإنما يبينه في غاية الأدب وبما ظهر له بحسب جهده، والحديث عن الحقائق العلمية دون الاستناد إلى المناهج أو دون بصيرة بالأدلة، فتلك جرأة مذمومة، وصاحبها مذموم عند الله وظالم لنفسه لإيراد الخلق موارد الهلاك، ولكن المقصود بالجرأة الجرأة بالحق وللحق بأن يبحث المسائل وفق الأدلة الشرعية والقواعد المرعية، وظهر له بعد المناقشة والمراجعة والاستدلال ظهر له أن الحق كذا فيكون عنده من الجرأة أن الحق كذا ولا يكتمه، هذا هو المقصود بالجرأة وليس الاجتراء.

الشرط الثامن: **التجرد أو الموضوعية**، فتسمى عند الغربيون الموضوعية وعندنا التجرد، وهي لا تنافي الإخلاص وهذا له مسار والإخلاص له مسار، فعند بداية البحث وأثناء سيره يكون مخلصا في الوصول إلى الحق، أما التجرد فهو العمل المباشر، بمعنى أنه حينما يناقش الأدلة الموضوعية وحينما يحشد الآراء وحينما يوجهها وحينما يبحث عن الأدلة يكون موضوعيا في ذلك أو متجردا في ذلك، أي إذا اتضح له دليل في ذلك حتى وإن كان بخلاف ما يذهب إليه يثبت هذا الدليل، ويتجنب الانتقائية في بحثه، فيورد جميع الأدلة التي للخصم والأدلة التي له، ويناقشها بموضوعية وحيادية تامة، لا يدخل هواه ورغباته في هذا الأمر، وإنما يبحث فيه بحثا متجردا يصور المسائل ويورد الأدلة كما هي، ويناقشها دليلاً دليلاً بكل وضوح وبكل حيادية، حتى يصل إلى تلك الحقيقة التي تعطيها تلك الأدلة، وليس يعطيها ما في ضميره أو ما يرغبه هو، فكأن التجرد هو الشق الآخر للإخلاص، فالإخلاص شق قلبي وصدق مع الله في البحث أو عقد العزم على البحث عن الحقيقة المطلقة دون تحيز، وطرح بداية البحث على أساس أنه سؤال أو استشكال ويحتاج إلى إجابة، التجرد هو عند ممارسة البحث العملية وليس في القلب، عند الممارسة يكون متجردا من الهوى، يعمل بحيادية ودقة كمن معه المسطرة والقلم لا يحيد عن السطر فيكون صارما في تجرده أو فيما يسميه الآخرون الموضوعية، لأنهم يقولون إنك تستقي أدلتك وشواهدك وتحليلك من هذا الموضوع الذي أمامك فلا تتدخل ذاتك

في الموضوع.

إشكالات حول الذاتية والموضوعية، أنه يصعب على الإنسان أن يتجرد تجردا كاملا، ولكن يحاول إلى أن يصل إلى مستوى معين من التجرد فيدفع هواه ما أمكن ويستحضر الحق ما أمكن.

الشرط التاسع: **سعة اطلاع ومعرفة لمصادر المعلومات،** لأن البحث يستند إلى هذه المصادر التي يستقي منها شواهده وأدلته وما يتصل ببحثه من جميع الجوانب، فهذه المصادر إن لم يكن عالما بها وواسع الاطلاع عليها فكيف يستفيد منها؟ مثلاً يعرف التعامل مع كتب المصطلحات بفنه، يعرف مصادر الفقه الإسلامي ومدارسها ومشايخها، يعرف مصادر أصول الفقه، ويعرف أدلة الأحكام من القرآن الكريم وأدلة السنة، ويعرف كيف يتعامل مع كتب التفسير فيما يتعلق بآيات الأحكام، فعدم وجود السعة في الاطلاع والمعرفة للمصادر فسيعود هذا الأمر بالنقص على بحثه، فيلاحظ الضعف في بحثه بحسب ضعف علمه.

الشرط العاشر: **امتلاك مهارات البحث** وهي متنوعة، فهناك مهارات عقلية، ومهارات عملية، ومهارات تُحتاج في تصميم بعض الأعمال التي يتطلبها جمع البحث العلمي، مثلاً من لا يحسن تصميم الاستمارة وكيف يبحث في علم وفي بحث يقوم على الاستمارة وتحليلها والخروج بالنتائج، فإذاً المهارات متنوعة ومتعددة، وبعضها مما يكتسب اكتسابا، وبعضها موجودة يطور تطويرا، هذه المهارات منها القدرة على النقد والتحليل والمقارنة، والقدرة على الاستنباط، والقدرة على الاستقراء ونحو ذلك.